فالمدح بالاستجابة والصلاة دعا الى العلم وبالنفقة الى الفقه وبالانتصار
الى الشجاعة حتى لا يظن ان اذعانهم لما مضى مجرد ذل والقصر على المماثلة
دعا الى فضيلة التقسيط بين الكل وهي العدل وهذه الاخيرة
كافلة بالفضايل الثلاث فان من علم المماثلة كان عالما ومن قصد الوقوف
عندها كان عفيفا ومن قسر نفسه على ذلك كان شجاعا وقد ظهر من المدح
بالانتصار بعد المدح بالغفران ان الاول للعاجز والثاني للمتغلب المتكبر
بدليل البغي فان قيل هذه الاية مشكلة لوجهين الاول انه لما ذكر قبله
واذا ما غضبوا هم يغفرون كيف يليق ان يذكر معه ما يجري مجرى الضد
له وهو الذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون الثاني ان جميع الايات
دالة على ان العفو احسن قال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى
وقال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال تعالى خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين اجيب بان العفو على قسمين
احدهما ان يصير العفو سببا لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن
جنايته والثاني ان يصير العفو سببا لمزيد جراة الجاني وقوة غيظه
وغضبه فايات العفو محمولة على القسم الثاني وحينئذ يزول
روي ان زينب اقبلت على عائشة تشتمها فنهاها النبي صلى الله
عليه وسلم عنها فلم تنته فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
سبيها ايضا فان الله تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع
فقط ثم بين ان مشروعيته مشروعة برعاية المماثلة بقوله
تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى
فمن عفى اي باسقاط حقه كلا او بالنقص عنه لتحقق البراءة
مما حرم من المجاوزة واصلح اي اوقع الاصلاح بين الناس بالعفو
والاصلاح لنفسه ليصلح الله ما بينه وبين الناس فيكون بذلك
منتصرا من نفسه لنفسه فاجره على الله اي المحيط بجميع صفات
الكمال فهو يعطيه على حسب ما يقتضيه مفهوم هذا الاسم الاعظم
وهذا مبالغة الكلام اليه عن مظهر العظمة وقوله صلى الله
عليه وسلم ما زاد الله بعفو الا عزا انه لا يحب الظالمين اي لا يكرم
الواضعين لشيء في غير محله فيترتب عليهم عقابه ولمن انتصر اي
سعى في نصر نفسه بجهده بعد ظلمه اي بعد ظلم الغير له وليس
قاصدا التعدي عن حقه ولو استغرق انتصاره جميع زمان التعدي
فاولئك اي المنتصرون لاجل دفع الظالم عنهم ما عليهم واكد
باثبات الجار فقال تعالى من سبيل اي عقاب ولا عتاب لانهم
فعلوا ما ابيح لهم من الانتصار روي النسائي عن عائشة قالت ما علمت

حتى

حتى دخلت علي زينب وهي غضبى فاقبلت علي فاعرضت عنها حتى قال النبي
صلى الله عليه وسلم دونك فانتصري فاقبلت عليها حتى رايتها قد
يبس ريقها في فمها ما ترد علي شيئا فرايت النبي صلى الله عليه وسلم
يتهلل وجهه واحتجوا بهذه الاية على ان سراية القود مهدرة لانه فعل
ماخوذون فيه فيدخل تحت هذه الاية انما السبيل اي الطريق
السالك الذي لا امنع منه اصلا على الذين يظلمون الناس اي يوقعون
بهم ظلمهم تعمدا عدوانا ويبغون اي يتجاوزون الحدود في الارض
بما يفسدها بعد اصلاحها بتهيئتها للصلاح طبعا وعلما وعملا
بغير الحق اي الكامل لان الفعل قد يكون بغيا وان كان مصحوبا
بحق كالانتصار المقترن بالتعدي فيه اولئك اي البعداء من الله
تعالى لهم عذاب اليم اي مؤلم يعم ايلامه ابدانهم وارواحهم
بما الموا من ظلموه ولمن صبر اي على الانتصار من غير انتقام ولا شكوى
وغفر اي صرح باسقاط العقاب والعتاب محو عين الذنب
واثره ان ذلك اي الفعل الواقع منه البالغ في العلو حدا لا يوصف
لمن عزم الامور اي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا وروي انه صلى
الله عليه وسلم قال ما من عبد ظلم مظلمة يعفو عنها الا اعزه الله
بها نصرا ومن يضلل الله اي الذي له صفات الكمال بان لم يوفقه فما له من
ولي اي يتولى امره في الهداية بالبيان لما اخفاه الله تعالى عنه
من بعده اي من بعد اضلال الله تعالى له وهذا صريح في جواز
الاضلال من الله تعالى وان الهداية ليست في مقدور احد سوى الله تعالى
وقال تعالى وترى الظالمين موضع وتراهم لبيان ان الضال لا يضع
شيئا في موضعه ولما كان عذابهم حتما عبر عنهم بالماضي فقال
لما راوا العذاب اي يوم القيمة المعلوم مصير الظالم اليه يقولون
اي مكررين لما اعتراهم من الدهش وغلب على قلوبهم من الوجل
هل الى مرد اي الى دار العمل من سبيل اي طريق فيتمنون
حينئذ الرجوع الى الدنيا لتدارك ما فات من الطاعات الموجبة للنجا
وتراهم اي في ذلك اليوم والضمير في قوله تعالى يعرضون
عليها يعود على النار لدلالة العذاب عليها ثم ذكر حالهم عند عرضهم
على النار بقوله تعالى خاشعين اي خاضعين حقيرين بسبب
ما لحقهم من الذل لانهم عرفوا اذ ذاك ذنوبهم وانكشف لهم عظمة
من عصوه ينظرون اي يبتدي نظرهم المكرر من طرف اي
تحريك الاجفان خفي اي ضعيف النظر يسارقون النظر الى
النار خوفا منها وذلة في انفسهم كما ينظر المقتول الى السيف

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)